

تخيل نفسك جالس في غرفة معتمة.. على الفراش الخاص بك، وأنت تحاول النظر في كل ركن منها بعد أن تتأمله لساعات، وتقلّب عينيك... فمرة تسهو في زاوية من الزوايا... ومرة تنظر في التلفاز المنطفئ... ومرة تقع عينيك على الأرض، ولكنك لا تميز أي شيء فيها، كما لا تستطيع تحديد ما هو موجود عليها أو ما تركت على الطاولة قبل أن تقفز إلى الفراش... أو ما هي الكرايب والأغراض المتروكة يميناً ويساراً، رغمًا أنك كنت تعمل بها مذ ساعة قبل أن تطفئ الأنوار... ولو ركزت قليلاً أو شعلت الأضواء مجددًا ستعود لك ذاكرتك وتستطيع تحديد كل غرض من الأغراض وكل شيء. لماذا هذا مُرمى في هذا المكان أو ذلك مُعلق على آخر. نور واحد سيعيد إليك ذاكرة ساعات من اليوم؛ أي أنك بهذا النور سوف تميز سبب وضع كل حاجة في محلها... أو سبب ترك كل غرض من الأغراض في مكان ما، رغمًا أنك لو لم تضيء هذا النور أو لم تستطيع إضاءته (بسبب انقطاع الكهرباء على سبيل المثال) سوف تقبع في موضعك نفس الجلسة التي تجلسها على فراشك، تحاول جاهدًا لساعات طوال فقط أن تتذكر الأسباب، وكأنك تشاهد كل شيء بالضباب.. أو كأن غشاوة حطّت على عينيك فلم تعد تميز الأمور من بعضها البعض أو كأنه طنين ضرب آذانك فصدعها فصرت تحتاج جهاز آلي خاص يفلتر هذا الطنين لمجرد فقط أن تتمكن من السماع مجددًا.

لكن حتى تفهموا ما أرمي إليه.. دعونا نعود إلى القصة من أولها ونتعرف ما هو سبب جلوسي على الفراش من الأصل وما علاقة هذه الأغراض والعممة والذاكرة.

كنت جالسًا في يوم من الأيام على أريكة الصالون التي نستقبل بها الضيوف عادةً، وهي التي أستخدمها للنوم في الصيف.. لأنها تشغل الحيز تحت المكيف مباشرة، وكنت عاقداً ساعدي ومتربع في جلوسي، وأنا أفكر وبينما أفكر شعرت أن بصري مشوش وكأنني لا أرى جيدًا.. رغم أنني في سن صغيرة من الغريب أن يصيب أحد في مثل سني ضعف في النظر. بالصدفة كانت أمي قبالي تقوم بنشر الغسيل وهي ساهية في أمر ما كالعادة، تعيد حساباتها أو تحاول التخطيط لشيء معين ستفرج عنه في الليل.. وسيتحول إلى قرار غير قابل للطعن. فقلت لها دون أية مقدمات أو بدايات:

-لا أراكي جيداً يا أمي...-

طبعاً تجاهلت أمي كلامي كالعادة، لكنني أعلم أنها انتقلت في أفكارها إلى سؤالي الذي بدأ ينغص على حساباتها.. لذلك قالت على مضض إجابة تريد طرد هذه الفكرة الغريبة التي خطرت على بالي وبدأت تشغل بالها:

-توقف عن المطالعة لساعات إذا...-

-لكنني لم أطالع حرفاً اليوم يا أمي...-

فتنهدت بقسوة و امتعضت قليلاً وقالت بشيء من الضجر:

-الوقت غير مناسب!

وطبعاً انتهى الحديث ويجب أيضاً أن تنتهي هذه البدعة التي ابتكرتها للتو بدون أي مبررات أو سوابق، وعلى ذلك يجب أيضاً أن أنسى فكرة ضعف النظر تلك.. وكأنها أمر عادي يأتي ويروح لا مبرر منه إلا الضجر أو قلة النوم أو يوم من تلك الأيام التي تأتي وتمر هكذا مثله مثل ثلاث أو أربع أيام في الأسبوع؛ أيام سوداء ما علينا إلا أن نتحملها.

طبعاً شعرت أنني مندفع لأمر ما، للذهاب بعيداً. ارتديت حذائي وخرجت من المنزل بعد أن قلت بصوت وصل إلى أمي حتى لا تعاتبني حينما أعود:

-أنا ذاهب للتنزه في الحديقة.

حينها خرجت وبحثت عن طريق الهاتف المحمول على أقرب طبيب، وبعد أن أخذت موعد في نفس اليوم وجلست زهاء ساعة أو ساعتين في غرفة الانتظار.. قال لي الطبيب بعد أن أبدى نظرات الاستغراب تلك التي يبديها جميع الأطباء حين يعاينون مريضاً طبيعياً لكنهم يريدون أن ييثوا قليل من الرعب والأكشن:

-بصرك تمام يا بني ليس هناك شيء يدعي القلق...

لكنني لم أسمع كلمة مما قال وكان تركيزي مصوّب في تعابير وجهه تلك التي تشبه المخلوقات الشريرة في أفلام الرعب، جبينه المتعرج وحاجباه المقوسان و عيناه الضيقتان وأنفه الأفطس و أرنبته المعقوفة وفمه المبوز.. كأنه على وشك تقبيل أحد قبلة بشعة. كان تفكيري بعيد عني وعنه، كأنه شخص في عالم آخر ينظر إلينا من عالمه ولكنه لا يسمع إلا ذبذبات أو صرير صوت الدكتور ويراني قبالتة أنظر بعيني الدكتور لكنني مخدر ومشلول. إلا أن هذه المهزلة كلها انتهت في لحظة واحدة حينما امتعض الدكتور وقال لي بعد أن شعر بإهانة كوني لم أستجيب للشيء الذي قاله للتو:

-أظن أنك بحاجة إلى طبيب سماع.

"طبيب سماع! ما هذا الهراء الذي يفتيه.. ثم أي دكتور هذا الذي يقول طبيب سماع.. أصلاً لم أسمع بها في حياتي على الإطلاق، يعني يقول طبيب أنف أذن حنجرة على الأقل ويحترم تلك المهنة التي يمتنها لسنوات.. ولكن ما علينا الآن. دوّخني هذا الدكتور بكلامه لكن في الوقت نفسه أضاء نوراً داخلي كان معتماً لفترة لا أذكر زمنها، وبعد أن طُردت "بلباقة" من عيادته ولكن نظري بقي كما هو لم يزيد ولم

ينقص.. ولأنه هناك متسع من الوقت بعد على الغداء وليس لدي ما أفعله في المنزل طالما ستوبخني
أمي إن وجدت بيدي كتاب.. خاصةً اليوم. قررت ارتياد العيادة رقم اثنان

حينما وصلت لفت انتباهي رجل كبير بالسن، مُنحني، يستند إلى طاولة كانت تجلس عليها فتاة خمنت
أنها السكرتيرة، كانت السكرتيرة تقول وكأنها تعيد ما قالت سابقاً للمرة العاشرة له.. شيئاً يخص الموعد
التالي، وحاولت أن أتخيل وأنا جالس في غرفة الانتظار الموقفين موقف السكرتيرة من الرجل الكبير
وموقف الرجل المسكين من السكرتيرة وهو يحاول أن يصيب فقط حروفاً مما تحاول قوله حتى تتحول
الأصوات التي تبثها إلى عبارات مفهومة.

أملى عليّ حكيم السماع "كما صار لقبه الجديد عندي" كلاماً ما. كنت أعبت في الأدوات الموضوعة
جانباً -على طاولة المعدنية- المرتبة فوق منديل أخضر معقم. كانت أدوات غريبة عجيبة، شيء ما
كالمقص لكنه أكبر حجماً وله طريقة إحكام مختلفة، وأداة أخرى تشبه الشفاط الموجود في كل عيادة
أسنان، وجهاز كبير يصدر أصوات مختلفة وعلى شاشته تظهر ثلاث نقاط أحمر وأصفر وأخضر...
استخدمه الحكيم وهو يقيس درجة سمعي.

كان كل شيء جديد يشغل تفكيري لدرجة أنني نسيت أنني في غرفة الحكيم وشعرت نفسي في غرفتي
أنظر لألعابتي للمرة الأولى وكأنها غريبة عني.. لدرجة أن الدكتور صار ينظر إلى جهاز السمع بغرابة
وتعجب، وهو يعيد تشغيله من البداية، كأنه يريد أن يجد مشكلة في سمعي، لكن في كل مرة كان الجهاز
يخيب ظنه فتظهر إشارة خضراء تعني أن الجهاز السمعي عندي ممتاز.. فينفخ ويتأفف.. حتى في
النهاية ضجر مني ومن الجهاز، وقال وهو يحرك بذراعيه بقرف ورغبة في نهاية هذه الجلسة السخيفة:

-أنت بحاجة إلى دكتور يتحملك.

ولأنه أغضبني قليلاً بسخريته تلك أردت أن أقول له "دعنا نذهب سوياً إذاً" لكنني مسكت نفسي في آخر لحظة...

خرجت مستاءً قليلاً لكنني اتكأت على عدم مبالاتي ونسيت كل ما قاله الدكتور في ظرف لحظات. "دكتور يتحملني" للتو عرفت أنني أسهو في كثير من الأفكار مثل أمي، كلمة واحدة لا تكلف شخص أكثر من ثانية يمكن أن تجعلني أفكر ساعات في فلسفة الحياة كلها. خطر على بالي أن أفصح عما في نفسي لأحد ما. طبعاً الشخص المعني بالأمر عليه تحملي كما قال لي دكتور السماع أنا بحاجة إلى شخص يتحملني.

حملت نفسي وذهبت بها إلى المحطة الثالثة، لم أفكر كثيراً في الوجهة، تركت حدسي يقود الموقف، وخيالي يمتعني في طريقي. كانت هذه المرة غرفة الانتظار هادئة بشكل مزعج حتى أنك إذا تحركت حركة واحدة في مقعدك أو حاولت فك حشيرة دغدغت بلعومك، نقل الجميع وجوههم إليك و قذفوك بنظرات العتاب واللوم، كأنك ارتكبت جريمة ما. دخلت علينا الممرضة و حركت شفيتها، اعتقدت أنها موضوعة في حالة عدم صرف طاقة.

مشيت في بهو ضيق معتم مُحاط بالمكاتب والرفوف والكتب والأوراق إلى أن وصل بي في النهاية، بعد أن شعرت نفسي أخوض بين هذه الكتب الحريين العالميتين الأولى والثانية وأسير عبر التاريخ.. إلى باب خشبي عتيق لم يبدل زيتيه أو هو لا يشرب زيت من الأصل ودلفت بحذر خوفاً ألا أسقط في جورة ما أو أتعلق بمصيدة. كان الدكتور ينظر للجهة المقابلة مولي ظهره لي في الفوهة الوحيدة التي تسمح بمرور الضوء في هذه العيادة أو القبو إذا كان التعبير أدق، وكان عاقداً ساعديه خلف ظهره، شعره خفيف رمادي على الجانبين فقط، لا يرتدي مئزراً أبيضاً، حتى أنني خلته في أول الأمر والد الحكيم ليس الحكيم.. إلى أن التفت إليّ فعرفت عنه نظارته السمكية وابتسامته تلك الخاصة بحكام النفسانية.

-تفضل يا بُني..

كان صوته رقيق ودافئ لدرجة أنني شعرت أن جسدي ينسحب من تلقاء نفسه للجلوس، شعرت أنني منوم مغناطيسيًا بكل كلمة كانت تخرج من فمه وكأن لديه منوم يخفيه بين أصابعه يبيث ذبذبات تأخذ مني طاقتي لكن تزيل عني عبء سنوات. استطعت في زهاء خمسة دقائق أن أفهم أشياء كثيرة عن نفسي لم أكن أعرفها مطلقًا وشعرت أن سمعي وبصري يرتدان لي رغم أنني... حسب رأي الأطباء سليم لا توجد بي علة.

كان الطبيب يجلس جانبي بعد أن ارتميت على أريكة مخملية خميرية مريحة شعرت نفسي غارق في نسيجها، كأن خيوطها محكمة على معصمي وكاحلي. كان يسجل ما كنت أقوله على ورقة كبيرة مستطيلة فوق ملف وضعه الطبيب على فخذة بعد أن وضع ساق فوق الأخرى.

كان يومئ بين الفنية والأخرى، يفكر أحيانًا ويرفع رأسه ويحلق في السقف، ماذا يوجد في السقف، حاولت التدقيق عدة مرات لكنني لم أجد شيئًا يلفت الانتباه؟ طبعًا فكرة مثل هذه كانت جلية بأن تسافر بي أميال خارج الكوكب الذي أعيش فيه. أصير أفكر في أمور ليس لها علاقة بالموضوع ولا تمت له بأي صلة، وحينها أتوقف عن الكلام، طبعًا هذا الصمت المفاجئ تليه إيماءة من رأس الحكيم ثم يبدأ بتسجيل خرافة ما من الخرافات على تلك الورقة.

طلب مني أن نقوم بجلسة أخرى وهو يضيف ملفي إلى مغلف كبير خمنت أنه مغلف المرضى، هل أنا مريض نفسي، يعني أنني مختل ومجنون، لكن لا أذكر شيء قلته كان خارج عن الطبيعة، لماذا طلب مني إذا تكرار الجلسة. أريد المزيد من المال، قد يكون نصاب مُحتال، أو أن واجب الطبيب النفسي إيجاد خلل في كل شخص يمر عليه.

أردت أن أقول له "دعنا نستبدل المقاعد في المرة القادمة" لكنني استحييت، في كل مرة تمر عليّ ملايين الأفكار أشعر أنني بحاجة لإطلاقها.. حتى أستيقظ وأستبدل كل الأفكار المجنونة بأخرى عاقلة متزنة. إلى أين الوجهة الآن، لم يدلني الطبيب النفسي، حتى لم يعطني تلميح صغير؟ وقفت أفكر، كان عليّ أن أسأله قبل أن أخرج.. أو كان أفضل استنزازه. علّه يوجهني كما وجهني من قبله. ماذا يوجد بعد غير كل

ما زرتة اليوم، طبعاً يوجد حكيم في مخي الآن إلا أنني لن أزوره لو انشقت الأرض وابتلعتني.
استوقفني رجل في مقتبل العمر، متوسط الطول والعرض... سألني:

-أتعلم أين عيادة حكيم الأعصاب في هذه المنطقة؟

حينها انطفأت كل المخدرات التي شغلت تفكيري ولمع مصباح واحد

-يا للمصادفة! إنني ذاهب في اتجاهه الآن.

فعبرت محياه ابتسامة رضاء، الآن عليّ قيادة الطريق لكن إلى أين؟ سأجد الحل بالتأكيد، ماذا لو كان
يوجد في المنطقة أكثر من حكيم أعصاب... يا ويلتااه! يجب عليّ التصرف الآن وبسرعة وبدون أي
إشارات تردد حتى لا ينكشف أمرى. قدمت له يدي للمصافحة:

-اسمي قاسم وأنت؟

-محيي الدين... أنا محيي الدين.

-لنذهب يا محيي... دعني أقود الطريق.

صدّقتني في ظرف لحظة ولم يعاكسني أو يخالفني، بل أشار لي بيده وقال:

-تفضل.

هنا الناس طبييون لدرجة تشعر بك بأنك لو خرجت يوماً ما بثياب رثة مهترئة وشعر لم تغسله مذ سنين، وألقيت عليهم خرافة ما سوف يصدقونك. رميت نظري في كل ركن من الأركان، وحاولت قراءة كل لافتة بيضاء مررنا بها، وكان عددها لا يصدق، كثيرة، لتقول أن الحكماء هنا يولدون ويخلفون أطباء. كانت المهمة صعبة لأن محيي لم يعرفني باسم حضرة الدكتور الذي حجز موعد عنده، هذا يعني لو كان في الحي طبيبين عصبية تصبح احتمالية نجاحي خمسون في المئة ولو كان هناك ثلاثة، ثلاثة وثلاثون بالمئة، ولو أكثر من ذلك سأرسب بلا شك. أتساءل الآن لماذا لم استدرجه لمعرفة اسم الحكيم، إلا أن الوقت على هذا قد فات، وأنا لست من النوع الذي يحب أن يسأل كثيراً حتى لو كان السؤال ضروري ومهم، هكذا هي طبيعتي أو طريقة تفكيري كما تقول لي أمي...

يوجد في علم الاحتمالات ثغرات دائماً، هكذا كان يقول لنا مدرس الرياضيات، أي أنها ليست فقط نسب مئوية بل هناك ما يؤثر على هذه النسب، إلى أن يصل الإنسان إلى الإجابة الصحيحة. عندما فكرت في هذه الطريقة توصلت إلى الحل في ظرف ثانية، كانت لافتة أول حكيم عصبية مررنا بها هي هدفنا، لم يقرأ محيي اسم الطبيب على اللافتة هذا لأنه غير مطلوب منه طالما أنا القائد، دخلنا وصعدنا سلم حجري أبيض مرقس كان متسخاً لدرجة أن أي محلول تنظيف لن يغير من لونه أو درجة نظافته بعد الآن، صعدنا للدور الثاني، دلفنا باب خشبي عتيق، كانت العيادة مملوءة بشكل لا يصدق لدرجة أنني شعرت أن فكرة وضع مقاعد على عتبات سلم البناء كانت فكرة غير سيئة. تقدم محيي كونه حجز موعد مسبقاً، سمعت جزء من حديثه مع السكرتيرة

-عدنان كنفاني!!! لا يوجد لدينا حكيم بهذا الاسم

طبعا هذه ليست المرة الأولى التي يفشلني فيها مدرس الرياضيات في استخدام علم الاحتمالات في الحياة، الحكيم الذي يبحث عنه محيي والمكان الذي نحن فيه أبعد ما يتصور المرء عن بعضهما البعض. استغلّيت الظرف وتسللت إلى الحمام.. حمداً لله لم يلحظني محيي. كان نقاشه مع السكرتيرة بدأ

يحتد، لو كنت محله ما سألت أحدًا غريبًا هكذا، لهذا السبب أنا لا أسأل كثيرًا حتى لو كان السؤال ضروري، أرأيتم أن لبعض الأمور عندي معنى حتى لو كانت غريبة في أول الأمر.
سمعت صوت محيي:

-جاسم...جاسم.

اسمي قاسم يا عزيزي، حتى اسمي كان يقوله خاطئًا، لماذا تبعنتني من الأساس! في المرة القادمة لو تلاقينا وأراد أن يوبخني سأدعي بأنه لم يناديني باسمي الصحيح، حينها لن تكون لديه أية حجة أخرى ليحاسبني. كم أنا ذكي وكهين!

جلست على مقعد تركه صاحبه للتو بعد أن نادى الطبيب اسمه، خطرت على بالي خاطرة فلهوية صرت أحسب خطواتها وأنا جالس أنتظر الموعد المناسب للدخول.
خرج المريض فصرخ الحكيم:

-عبد الله قادري... عبد الله قادري!

لم يجب أحد، كنت أدير عيني بسرعة البرق يمينًا شمالًا في صفوف الجالسين، أرى إن أحدًا سيتحرك أو يحرك شفتيه، إنها أقل من لحظات.. عليّ فيها التحرك وبسرعة قبل أن يبدو عليهم أي شك، عبد الله هو الذي دخل لتوه المرحاض، لا توجد عندي خطة بديلة أفضل من هذه، هيا يا قاسم، تحرك وبسرعة قبل أن يفوت الأوان...

وقفت بعد أن ضربت رأسي بكفّي قائلاً:

-نعم نعم...!!

كانني لم أسمع اسمي أو كنت شاردًا. نظرت السكرتيرة في وجهي باستغراب وتعجب، تسأولها في محله فهي لم ترى وجهي اليوم وهي تسجل اسمي على دفتر المواعيد، لكنني فاجأتها بذكائي:

-اسمي قاسم قادري، أبي سجل الموعد باسمه بدلًا من اسمي... أنا أعتذر كثيرًا بالنيابة عن الارتباك الذي حصل للتو..

وأظهرت لها الوجه الحزين الطفولي الخاص بي، وأبديت درجة من الاحترام استعطفتها حتى أنها قالت:

-يا عزيزي!! أنا الآسفة على الارتباك، تفضل.. الباب في آخر الرواق

تخيلت حينها أستاذ الرياضيات واقفًا بجانبني وأنا مقابل السكرتيرة يومئ برأسه وابتسامة كهينة ويقول:

-يا ابن الحرا...

ضحكت بمجرد تخيل هذا الموقف الذي نسفت فيه كل علوم الاحتمالات والرياضيات، وتقدمت إلى غرفة التحكيم بخطى واثقة وسعادة مجنونة.

أشار لي الحكيم بالجلوس على فراش المعاينة، جلست على فراش اسفنجي أصفر اللون كان مغطى بمنديل طويل من الورق المقوى، جرّ الحكيم مقعد كان مخصص للمرضى إلى طاولة كان عليها ورقيات وملفات ومحافظ أقلام وشهادة طبية من الخشب كُتب عليها د. عامر السليمانى.

رمقني الحكيم بابتسامة لطيفة غريبة أشعرتني أنني في المحطة الأخيرة وأشار لي بيده يستأذني
الشروع في الحديث بعد أن قال وهو يغمز بأحد عينيه:

-تفضل يا قاسم ابن أحد ليس بالتأكد عبد الله القادري

حينها ضربني السكوت وأصاب شفتي الشلل

-ألم تحسب حساب يا بني أنني أعرف مرضاي خير معرفة عن ظهر قلب

وصار يضحك بطريقة محترمة خفيفة أربكتني لكنها لم تشعرني بأي خطر على الإطلاق.

-أنا... أنا...

-هه لا عليك يا قاسم، ما فعلته للتو للحصول على موعد يستحق العناء، هذه المخاطرة والجرأة والبداهة
والعفوية أعجبتني، بالطبع لم تستطع ولو للحظة بالتحايل عليّ فقد علمت من اللحظة التي وقفت فيها أنك
محتال كذاب هه.. أنا آسف... لكن الأشرار يلفتون انتباهي أكثر من الحمقى... هههه

من هذا الدكتور العجيب، إنه غريب الأطوار... بدلاً أن يسألني عن مشكلتي يفاتحني بموضوع كهذا،
إنه حقاً يختلف عن إخوانه السابقين، لكنني أشعر أنه يرمي إلى شيء معين يخصني، هو بالضبط ما
مضيت كل هذه الرحلة الطويلة من أجله... رُفِع الشلل عني

-أيها الحكيم... أنا أعاني من ضعف البصر والسمع ومن...

فقال بسرعة البرق مقاطعاً كلامي:

-التركيز... أليس هو ما تريد قوله من زمان... ..

ابتلعت ريقِي، شعرت نفسي في تلك الأوقات المسائية الممطرة وكأنني في منزل موحش والجو في الخارج معتم مظلم مع أمطار غزيرة وفجأة تدق ساعة الكاتدرائية.

-نعم... ..

-اسمع يا قاسم، أنت لا تعاني من ضعف البصر أو السمع وهذا ما أكده لك حكيم العيون والسمع وغمزني نفس الغمزه البديهية السابقة وتابع:

-بل إنك طبيعي لا شيء هناك يدعو للخوف، كل ما في الأمر أن الاتصالات بين الأعصاب عندك، وخاصة في أماكن التحفيز و اليقظة والشعور بالطاقة، متأخرة قليلاً، ندعيها في علم الأعصاب: العصبونات الواصلة بين الأعصاب، في تلك الفراغات بين كل عصبين، لديك نسبة من الدوبامين، هرمون النشاط والحافز، أقل من النسبة الطبيعية عند الأشخاص العاديين، هذا يعني أنك تشعر دائماً بالملل والتعب وقلة النشاط وصعوبة في أداء المهام بترتيب معين، وتريد أن تنتقل من مهمة لأخرى بدون أي ترتيب أو تنظيم، وتحب أن تشبل الأمور كثيراً، وبما أنك قليل النشاط، فهذا يؤدي إلى تشتت التركيز، فتشعر نفسك لا تستطيع الرؤية فيما أمامك، بل ترى ما تتخيله أينما قفز بك عقلك وأينما ذهب، وأيضاً نفس الأمر ينطبق على حاسة السمع لديك، وتشعر كلما أردت العودة لعالم الحقيقة أنك في زنزانة صغيرة ضيقة لا تسع خيالك ولا تسع أحلامك، وحتى لو حاولت المكوث فيها تشعر بالضيق ولا تشعر براحتك، ولأن الأعصاب غير مزودة بكمية كافية من الدوبامين، لا تستطيع التركيز في أمر

واحد ففتشنت وتشعر أن كل أمر فارغ لا يوجد واصل بينه وبين أمر آخر، مما يعني أن الأسباب التي تربطها قد تكون لديك ذو معنى لكن لغيرك... ليس لها معنى على الإطلاق...

صارت تنهمر مني مقلتي الدموع بغزارة دون سابق إنذار وكأنني كتاب مفتوح أمام هذا الشخص الذي لم أنطق له بحرف واحد، ورغم ذلك كشف كل كروتني وأدواتي، الطريقة التي أفكر بها والنتائج التي أتوصل إليها، بينما لم يستطع أي من الحكماء السابقين مداواتي أو حتى فقط التعرف على طبيعتي... تكلمت بينما كان صوتي متحشراً عميقاً:

-الهذا يقولون حكماء الأعصاب في غاية الذكاء؟

خرجت من شفتيه ضحكة مخبأة كأنها سقطت من ابتسامة عينيه:

-لا علاقة لحكيم الأعصاب بهذا... أنا أعرف كل من يحمل المشكلة نفسها التي أحملها بمجرد النظر في عينيه ومراقبة حركاته... عندما اتخذت هذه المخاطرة لكي تأخذ دور قبل غيرك دون التفكير في العواقب أو النتائج، وخاطرت بنفسك... أصابني الشك... وبعد أن نظرت في عينيك وأبصرت في قلبك... دارت لي... ههه... عد إلى غرفتك الآن حيث أنت جالس على فراشك تفكر في تلك الأغراض التي نسيت مكانها بمجرد أنك أطفأت الأنوار، نعم إننا نشعر، نحن مرضى "فرط الحركة وتشتت الانتباه" بأن كل شيء حولنا مظلم تماماً مثل الغرفة الخاصة بك، من الصعب علينا رؤية الأمور بشكل جيد، وأحياناً ننسى بسرعة، لأننا لا نستطيع التركيز مطوياً، وأفكارنا دائماً في متاهة، وهذا هو تماماً يشبه ذلك الوصف الذي وصفته وأنت جالس على فراشك وسط العتمة محاط بكثير من الأشياء التي لا تدري عنها أي شيء... رغم أنك الوحيد الذي يعيش في المنزل... وأنت من قام بتحريكها وتغيير مواقعها... لكن يا قاسم لا تنسى أمر مهم جداً... إن لخيالنا طاقة رهيبية لا يمتلكها أي خيال شخص عادي آخر... فلا تستخف بهذه القدرة... ودعها تصل بك إلى الطريق الصحيح... حتى تحقق كل رغباتك... إن

فرط الحركة وتشتت الانتباه ليس شيئاً سيئاً كما يعتقد الكثيرون... حتى لو كان ما عليك القيام به لإنجاز مهمة ما أضعاف ما على غيرك... هذا لأنك تحتاج تركيزاً أكثر وبالتالي طاقة أكبر... ولكن تذكر في النهاية لا ينتصر من كان موهوباً بالفطرة... بل من يبني من مشاكله المتراكمة فوق بعضها البعض منزلاً خاصاً يميزه عن غيره ويجعل من ضعفه موهبة تبرزه ويتألق بها... والآن وداعاً يا قاسم... ثم اختفى كل شيء...

...

تمت بعون الله

